

سم الله الرحمن الرحيم

ليلة القبض على نادي الطبيعة

ذكريات: المهندس محمد يوسف العالي

سكرتير نادي الطبيعة

مقدمه

عنوان استلهمته من الفيلم المصري الشهير " ليلة القبض على فاطمة". وكما ذكر أخي الفاضل الدكتور علي خليفة الكواري، فإن فكرة إنشاء نادي الطبيعة كانت نابعة من اعتقاد وإيمان كبيرين لدى المؤسسين ورداً على عدم وجود نادي ثقافي ينفس عن طاقات الشباب المثقف والواعي لما كان يدور حوله خاصة وأن فترة الخمسينات، وبعد نجاح ثورة ٢٢ يوليو في مصر، كانت متأثرة بالمد الثوري العربي. وأن الشباب المثقف كان متعطشاً لمنابر يعبر فيها عن هذا التوجه. وبعدها قامت الوحدة بين سوريا ومصر الأمر الذي الهب شعور الشباب المثقف وأعطى زخماً إضافياً للروح العربي السائدة آنذاك.

ويعد تأسيس النادي تعرض مؤسسوه إلى حملة غير مبررة معتبرين أن هذا النادي ما هو إلا حزب سياسي. وأن النادي سياسي حتى النخاع. ولكن الواقع كان غير ذلك، فقد كان النادي ثقافي. فهناك المسرح و هناك مجلة الحائط واللقاءات الشبابية المختلفة وبرنامج لزيارة مختلف مناطق قطر من شماله إلى جنوبه مع وجود اهتمام بالسياسة إلى جانب كل ذلك.

وكنا نتندر على الأخوة الطلاب العرب الذين كانوا يدرسون معنا من انهم كانوا يقرأون الأهرام بدأ من الصفحة الأخيرة، أي القسم الرياضي ، في الوقت الذي كنا نحرص على قراءة المقالات الثقافية والسياسية خاصة مقالات الاستاذ محمد حسنين هيكل "بصراحة" والكتب الثقافية والفكرية.

وكنا قبل شهر تقريباً من ليلة المداهمة قد قمنا بعرض مسرحيه عن العمال في دخان ومشاكلهم مع الشركة والوسيط بين العمال والشركة. وأتذكر انه قبل خروجي على خشبة المسرح قام الأخ صالح سعيد العلي بتعديل وضع العقال بحيث أصبح شكله مثل لبسة الشيخ أحمد بن علي رحمه الله حاكم قطر آنذاك. وقام بتمثيل دور مستر جونز (ممثل الشركة) السيد سالم رزق، أحد الاخوة الفلسطينيين.

وعلمنا فيما بعد أن هذه التمثيلية كانت أحد الأسباب الهامة التي أدت الى مداهمة النادي والقبض على اعضاءه. حيث كان الاعتقاد لدى السلطات، أن التمثيلية ماهي الا تجسيد لدور الشيخ أحمد وابنه الشيخ عبد العزيز رحمها الله وشركة النفط. وبعد المداهمة تعددت الاشاعات حتى أنها وصلت إلى حد اتهام النادي بتفجير خزنة البنك البريطاني با "الصاروخ" الذي قمت بتصميمه ونشرت مجلة النادي صورة له.

ليلة المداهمة

لقد تمت المداهمة في خريف سنة ١٩٦٠ وكان الوقت يميل إلى البرودة وكنت جالساً في غرفتي في البيت أستمع الى عزف على العود حين دخل علي والدي رحمه الله وبعد السلام عليه فاجأني بالقول "أنت وعبدالله لا تروحون النادي الليلة" وكان قد حدث زعل بيني وبينه حول عضوية النادي وتم حل ذلك . استغربت منه ذلك وحين شرحت له ان النادي اصبح جزء من حياتنا أنا وأخي عبدالله خرج من الغرفة وهو يقول "راح تتأسفون" وعلمنا فيما بعد ان السيد سرور والسيد بطي(رحمهما الله) كانا قد حذرا والدي من أنه ستم مداهمة النادي والقبض على اعضاءه مشترطين عدم افشاء هذا السر.ولو أنه أفشى لنا هذا السر،لكننا أبلغنا زملائنا بذلك،لكنه لم يفعل رغم علمه بأن كلا ولديه سيتم سجنهما.

ذهبنا الى النادي وبعد أن قمنا بتنظيم (أريل التلفزيون) في النادي استعداداً لمشاهدة فيلم انور وجدي ونعيمه عاكف (على ما ذكر) في محطة ارامكو. جلسنا نشاهد التلفزيون وماهى الالحظات حتى فوجئنا بدخول (الفداويه) من بابى الغرفة وهم يوجهون لنا الاوامر بالخروج ويضربوننا بالمشاعيب .وكان أول المقتحمين من الفداوية هورشيد مفتاح .وبعد ان أجلسونا على الأرض في الغرفة قام الفداوي نصيب بن مايقه، بكسر شاشة التلفزيون فقلت له " لماذا كل هذه العنتريات والتلفزيون له مفتاح يمكن تسكيره منه". فما كان منه إلا ان ضربني على رأسي بكعب البندقية فسال الدم على وجهي.

اخرجونا واحداً واحداً الى "الليوان" وكان كل من لطفى سمارة وحسين زيدان (رجال شرطه عرب) يفتشون حتى الكنبات حيث تم تمزيقها بحثاً عن أشياء مثل الأسلحة والمتفجرات .بعدها دخل الضابط كوكرين قائد شرطة قطر والضابط بريكس فقال لطفى سماره لهم وهو يؤدي التحية "لقد قمنا بتفتيش كل شئ سيدي" .

بعدها قادونا الى سيارة لورى وكان سائقها راشد همام رحمه الله .

المداهمة اشترك فيها كل من الفداوية والشرطة والجيش . كل هذه القوة للقبض على حوالي ٢٠ شخصاً عزل . لقد أخبرنا أحد الفداوية فيما بعد، بأنهم حذروا من انهم سيواجهون أناسا مسلحون تسليحا قويا وأن هناك احتمال بأن يتعرض بعض منهم للقتل! وحين اقتربنا من منطقة الرميلة علمنا اننا ذاهبون إلى قلعة الرميلة (مركز قيادة الجيش) وهناك تم انزالنا حيث كان في انتظارنا احد الضباط الكبار واسمه شاكرو السروجي . كما كان هناك اشخاص يلبسون اللباس القطري ومتخفين في الظلام . تم توزيعنا على الزنانات وبعدها حضر كوكرين يتفقد الوضع، وكنت في الزنانة الأولى (بالصدفة)، ولازلت اتذكر صوت حذائه العسكري على أرضية السجن . توقف ليسألني قائلاً " أنت ابن مين ؟ "أجبتة أنا فلان، " ها... أنت ابن يوسف الذي يعمل لدى شركة شل، "بلغة عربية لا بأس بها". قال "هل تريدني ان اخبر ابوك قلت "لا . شكرا ابوي عنده خبر" وبعدها بساعة تقريباً أحضروا السيد احمد عبدا لله الخال وادخلوه في نفس الزنانة التي كنت أنا فيها.

رجع والدي الى البيت تلك الليلة وقال للوالدة "لا تنتظرين عيالك الليلة...تراهم مهيب جايين".

أصيبت والدتي بالذعر، وترجته أن يخبرها بما جرى لنا. وذهب الوالد لينام تاركا الوالده تضرب أخماسا في أسداس. في تلك الليلة إلى أن مر الأخ الدكتور علي خليفة الكواري والشيخ ناصر بن أحمد بن خالد على الوالده وأخبرها بما جرى وطمئناها على حالتنا جزاهم الله خيرا.

استمر اعتقالنا لمدة ٢١ يوما وقمنا بإضراب عن الطعام بدءا من اليوم السادس عشر والسابع عشر. وتم الاتفاق بيننا على ان لا نفك الاضراب الا في المستشفى . كان أمر السجن هو الضابط احمد بن راشد الكواري وكان عادلاً وغم صرامته العسكرية وكان الشيخ عبدالعزيز بن ثاني رحمه الله مسجوناً في قسم آخر. وعندما أعلننا عن الاضراب كان يحضر الى قسمنا بما لذ وطاب من المأكولات لكي يختبر مدى جدية اضرابنا عن الطعام. بعدها طلبنا من السيد احمد راشد الكواري جزاه الله خيراً ان لايسمح له بالحضور الى قسمنا وتم ذلك.

غالبيتنا تحملوا الاضراب لمدة ٣ ايام وبالفعل تم فك الاضراب فى مستشفى الرميلة وكان الطبيب المعالج هوالدكتور عبداللطيف .لم يكن دكتوراً، بل كان ممرضاً ولكن الشيخ على رحمه الله سماه دكتور ومشى عليه الاسم.

ثم وضعنا فى غرفة واحدة فى الطابق الاول فى المستشفى وأمام الغرفة التي كنا فيها كان هناك شيخ من شيوخ العبد الرحمن. وفي اليوم التالي دخل علينا احد ابنائه (محزما) وقال "انتو اللي تبون تسون انقلاب على الشيخ أحمد. المفروض يرسلونكم لنا في الوكير حتى نراويكم السنع" !!! تجاهلنا تهديده ولم يرد عليه احد .

وفى اليوم ٢١ من الاعتقال حضر كل من عبدالعزيز بن خالد الغانم ومحمد خالد الريان رحمهما الله والسيد على بن خليفة الهتمي وشخص رابع لا اتذكره (قد يكون من البادى) وقال لنا السيد عبدالعزيز الغانم مايلي :-

"الشيخ احمد عفا عنكم ويحذركم من التدخل فى السياسة وانتم مرخصين ". واتذكر اني قلت له" بس انروح ببيوتنا بعد الاعتقال !احنا نبغي محاكمة علنيه" . ورد على محمد الريان رحمه الله بغيض " قم شيل اغراضك وروح بيتكم، فاكر نفسك في سوسيرا".

وعدنا الى بيوتنا ولكن القصة لم تنتهى عند هذا الحد بل امتدت الى المدرسة حيث كان المدرسون من (الاخوان) لنا بالمرصاد وأصبحنا موضوع طابور الصباح وموضوع الدراسة فى الفصول. صبرنا على كل ذلك لكن فوجئت فى يوم من الايام بالأسناذ محمد مرسى مدير المدرسة الثانوية رحمه الله يستدعيني لمقابلته. قال لي" يؤسفني ابلاغك بان الشيخ جاسم بن حمد وزير المعارف سوف يلغي اسمك من البعثة الدراسية بسبب نادي الطليعة ولتفادي ذلك عليك الذهاب معي الى الشيخ جاسم والاعتذار منه". قلت: "اعتذر على ماذا وعن ماذا !!". ونظرت اليه وقلت له بالحرف الواحد: " سأذهب للدراسة فى الخارج سأغسل الاطباق وامسح الارض .وسأقشر البطاطا وسوف ارجع الى بلدي بالشهادة ان شاء الله.

ذهبت فى بعثة دراسه الى انجلترا وبعدها الى امريكا حيث حصلت على شهادة البكالوريوس فى الهندسه الكهربائيه (كأول مهندس قطري في هذا التخصص).

وبعد تخرجي اذكر اني فاتحت الشيخ جاسم رحمه الله بما قال له لي الاستاذ محمد مرسى ونفى صحة ذلك، وانا اصدق كلام الشيخ جاسم.

وعلى ما أذكر أن الذين تم اعتقالهم في النادي هم الإخوان التالية أسمائهم:

- ١ - خالد محمد الريان
- ٢ - خليفة غانم الكبيسي
- ٣ - جابر أحمد السليطي
- ٤ - أحمد الخال
- ٥ - راشد حسن الدرهم
- ٦ - محمد يوسف العالي
- ٧ - عبدالله يوسف العالي
- ٨ - بدر الساده